

جامعة منتوري - قسنطينة
مختبر الدراسات اللغوية

الرَّاسَاتُ اللُّغَوِيَّةُ

مجلة علمية لغوية متخصصة ومحكمة تصدر عن مختبر



العدد 006 السنة 1431هـ
2010م



الدَّرَاسَاتُ اللُّغَوِيَّةُ

المدير الشرفي: أ.د عبد الحميد جكون رئيس الجامعة

مدير المجلة مسؤول النشر: أ.د يمينة بن مالك

رئيس التحرير: أ.د عبد الله بوخلخال

هيئة التحرير

أ.د يمينة بن مالك أ.د عبد الله بوخلخال د.محي الدين سالم
أ.د عزيز لعكايشي د.عثمان طيبة أ.عبد السلام غجاتي
د. ابراهيم قلاتي

الهيئة العلمية

أ. د يمينة بن مالك أ. د محمد كراكي أ. د حسن كاتب
أ. د عبد الله بوخلخال أ. د بلقاسم ليبارير أ. د السعيد هادف
أ. رابع دوب أ. د الأخضر عيكوس أ. د الربيعي بن سلامة
د. إبراهيم قلاتي

الدراسات اللغوية

مجلة لغوية محكمة تصدر عن مختبر الدراسات اللغوية

شروط النشر:

- 1- تبعث المقالات مطبوعة على جهاز الحاسوب مصحوبة بالقرص المرن.
- 2- أن يكون البحث جديدا ولم يسبق نشره.
- 3- لا تزيد صفحات البحث عن عشرين صفحة.
- 4- تخضع المواد المقدمة للنشر إلى تقييم علمي سري.

موضوعات العدد

06

تصدير

07

1. الاستشراق: اللغة من الوظيفة إلى التوظيفية.
أ.د حسين خمري

25

2. الرواية الجزائرية المعاصرة والتداخل اللغوي
أ.د رشيد قريبع

41

3. سمات الطفل الموهوب لغويا وطرائق تنميتها.
أ. زين الدين بن موسى

73

4. قراءة في قصيدة (حيزية) للشاعر أحمد بن قيطون.
أ. السعيد بحري

93

5. القراءات القرآنية والدرس اللغوي العربي
(جهود أبي عمرو بن العلاء ويعقوب بن أبي إسحاق الحضرمي نموذجاً)
أ. عبد السلام غجاتي

123

6. العلاقة بين اللفظ والمعنى بين المفهوم المعجمي والاستعمال
عند البشير الإبراهيمي من خلال عيون البصائر.
أ.د عبد الله بوخلخال

139

7. قراءة الحسن البصري دراسة صوتية تحليلية
أ. عبد الوهاب شيباني

165

8. الحوار مع الآخر بين ثقافة الهامش وثقافة المركز في عصر
العولمة.

185

9. نشاط القراءة في التعليم الأساسي الجزائري.
أ.د. محمد كراكبي

207

10. لغات الأسماء الموصولة في الفصح من كلام العرب.
أ.د. محمد مشري

233

11. مبادئ النحو البنيوي، دراسة تطبيقية.
د. يحيى بعيطش

257

12. البنية والبنوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية
العربية. (بحث في النسبة اللغوية والاصطلاح النقدي).
د. يوسف و غليبسي

1

الاستشراق :
اللغة من الوظيفية
إلى
التوظيفية

أ.د حسين خمري
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة منتوري قسنطينة



الاستشراق:

اللغة من الوظيفة إلى التوظيفية

أ.د. حسين خمري

شكل الشرق موضوع اهتمام بالنسبة للغربيين عبر عصور طويلة متلاحقة فأنتج مدارس وتياراته ومنظوماته المعرفية ومناهجه ونصوصه، ويعود هذا الاهتمام إلى أسباب علمية وأسباب استعمارية، وهو ما جعل الفكر العربي يتناوله بالدراسة والتحليل فيرى فيه أحيانا نعمة على العرب والمسلمين، وتارة أخرى تقويضا للأسس وهدما للبنية الفكرية في شكل خطاب علمي محايد وموضوعي وفي أحيان قليلة في شكل هجوم مكشوف. فتباينت المواقف وتعددت القراءات والتأويلات.

إن علاقة الترجمة بالاستشراق يمكن مقاربتها من زاويتين: الزاوية الأولى، والتي يمكن وصفها بأنها إيديولوجية أو سياقية وتمثل في دراسة إنتاج المستشرقين في ميدان الترجمة، أي ما أنتجوه من ترجمات من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية، أو من لغاتهم الأصلية إلى اللغة العربية. أما الزاوية الثانية فتتمثل في التعامل مع الاستشراق باعتباره شكلا من أشكال الترجمة، وهذا يعني تفكيك



الخطاب الاستشراقي والتعامل معه كآلية اعتمدها الغربيون لفهم الشرق وترجمته وكذا استعمال مفاهيمه وأدواته لإنتاج نصوص حول المشرق.

والشرق عندهم هو منظومة من المعارف تتطلب أدوات لفهمه ودراسته كموضوع للمعرفة. وهذه النزعة العلمية (والعلموية في بعض الأحيان) هي التي جعلت إدوارد سعيد يصف السياق الذي أنتجه قائلاً: "ولد علم جديد قوي لمعينة الشرق اللغوي، وولدت معه، كما أظهر فوكو في نظام الأشياء، شبكة كاملة من الاهتمامات العلمية المرتبطة به. وبطريقة مماثلة، فقد استبنى وليم بكفور، وبايرن وغوته، وهوغو الشرق عن طريق فنهم وجعلوا ألوانه، وأضواءه، ومكانه مرئيين عبر صورهم، وإيقاعاتهم ومتخيلاتهم المعنوية"⁽¹⁾.

إن ملاحظة إدوارد سعيد لا تؤرخ للخطاب الاستشراقي ولكنها تعمل على تفكيكه للتعرف على مفاصله المعنوية والفكرية، فالاستشراق بمفهومه الدقيق يمكن اعتباره حديثاً نسبياً، هذا إذا استثنينا المحاولات القديمة التي صورت الشرق أو تحدثت عنه ولكن دون أن تجند كل الإمكانيات المادية التابعة لمؤسسة معينة أو دولة معينة أو الكفاءات البشرية والمقدرات العلمية. كما أن الاستشراق لم يتوقف عند مجال بحثي معين أو جانب مخصوص من الشرق، بل إنه كان تناولاً شاملاً لكل مناحي الحياة الشرقية المادية والفكرية، وفي الوقت ذاته فإن الاستشراق قد عمل في بعض الأحيان على اختراع أو إنتاج "مشرقه" الخاص به أو لتقدمه إلى جهة معينة.



و الشرق، بهذا المفهوم، ليس موضوعاً جامداً، ولكنه مادة يعاد تشكيلها حسب الظروف ووفق المقتضيات، وفي بعض الأحيان تحت الطلب. وهو ما يعطي الانطباع بأن "الاستشراق يقدم مثلاً رائعاً عن العلاقات المتداخلة بين المجتمع، والتاريخ، والنصوصية، وعلاوة، فإن الدور الثقافي الذي يلعبه الشرق في الغرب يربط بين الاستشراق والعقائدية، والسياسة، ومنطق القوة"⁽²⁾.

وإذا كان هذا هو اهتمام الاستشراق، على الأقلّ المباشر منه، فكيف يمكن تعريفه؟ "إن هذا المصطلح في الواقع، ينزع [في الثقافة الغربية] أحياناً إلى الدلالة وبصورة شاملة على كل ما ليس بالغرب، إلا أن هذا الأخير لا ينحصر فقط في تعريفه الجغرافي الخالص والبسيط، المتمثل في نقطة الأفق التي تغيب عندها الشمس"⁽³⁾ إن الاستشراق بهذا المفهوم لا يتوقف عند الجانب الجغرافي المحض ولكنه يتجاوزه إلى الجوانب الأخرى، أي أنه يتناول المشرق كحقائق ومعارف، ولكن لماذا الاهتمام بالشرق؟. إن الذي جعل الغرب يهتم بالشرق هو مدينة الإسلام وهي "قضية لا تقبل المماحكة إذ ليس من أمة في أوروبا سواء الألمان أو الفرنسيين أو الإنكليز أو الطليان إلخ إلا وعندهم تأليف لا تحصى في "مدينة الإسلام" فلو لم تكن للإسلام مدينة حقيقية سامية راقية مطبوعة بطابعه، مبنية على كتابه وسننه ما كان لعلماء أوروبا حتى الذين عرفوا منهم بالتحامل على الإسلام يكثرون من ذكر المدينة الإسلامية ومن سرد تواريخها ومن المقابلة بينها وبين غيرها من المدن، ومن تبيين الخصائص التي انفردت هي بها"⁽⁴⁾ أي أن اختلافها عن الغرب هو ما جعل المستشرقين يهتمون بها.



هذا الاهتمام يعود إلى "فضول" علمي، كما يمكن أن نعوزه إلى تخوُّف الغرب من الشرق كمفهومين حضاريين، وهذا منذ نزول الإسلام. " إن علاقة الغرب بالعرب منذ ظهور الإسلام حتى هذا اليوم لهي مثال تقليدي عن مدى تأثير المشاعر والعواطف في كتابات التاريخ، وكان هذا وضعا له مبرراته في عصر اعتبر فيه تأثير معتنقي دين آخر أمرا غير مرغوب فيه لخطره الوهمي"⁽⁵⁾.

ومن هنا تأسست العلاقة بين الشرق والغرب، وهي علاقة أقل ما يمكن أن نصفها به هي أنها علاقة عاطفية وقد تميزت هذه العلاقة في بعض الأحيان بالإعجاب المتبادل متمثلا في الترجمة والمبادلات الثقافية وفي الكثير من الأحيان بالتوتر والإلغاء المتبادل. والإلغاء في حد ذاته مبني على معاينة المنتوجات الفكرية للآخر وتفهم عميق لثقافته بهدف تفويض أساسها. وهكذا ترسّمت العلاقة بين الشرق والغرب وأصبحت مجالا لإنتاج النصوص التي صارت مجالا خصبا للدراسات الاستشراقية. وكان على المستشرقين أن يعيدوا صياغة العلاقات وفق المقتضيات و تماشيا مع السياقات الحضارية والثقافية. وقد تبلور هذا المجهود من خلال اتجاهين: " الأول هو المعرفة الأوروبية المنظمة المتنامية بالشرق، وهي معرفة دعمتها المواجهة الاستعمارية، كما دعمها اهتمام واسع الانتشار بالأجنبي وغير العادي استغلته علوم نامية مثل علم الأصول العرقية، والتشريح المقارن، وفقه اللغة، والتاريخ، وعلاوة على ذلك فقد أضيف إلى هذه المعرفة المنظمة قدر لا يستهان به من الكتابات التي أنتجها روائيون، وشعراء ومترجمون، ورحالة موهوبون، وكان الملمح الآخر للعلاقات الشرقية - الأوروبية أن أوروبا كانت دائما في موضع القوة، إن لم نقل السيطرة"⁽⁶⁾.



وبما أن الغرب هو مالك القوة والمتحكم في صيرورة العالم، فإن أصحاب القرار السياسي قد استثمروا الأدبيات الاستشراقية للسطو على الشعوب الضعيفة وتبرير تدخلها مفترضة أن "الشرق وكل ما فيه، بحاجة إلى دراسة تصحيحية من قبل الغرب"⁽⁷⁾. وقد نتجت هذه العلاقة الجديدة اثر حملة نابليون على مصر سنة 1798 التي حركتها باتجاه معيّن فجددت نشاط المستشرقين ووجهتهم إلى ميادين كانت بعيدة عن اهتمامهم.

أما في ميدان الترجمة، فكيف يمكننا التعرف على وظيفة الاستشراق؟ إذا تجاوزنا الطروحات الإيديولوجية والأحكام المعيارية، فإن الاستشراق يبدو لنا كإحدى الآليات لإنتاج المعرفة بالشرق وكل ما يتعلق به، ومن ثمة فهو "ليس مدرسة أو شبه مدرسة، لتأويل الأحداث الثقافية الشرقية، من أجل اكتشاف هذا الشرق، ولكنه كذلك نشاط شبه علمي يتأسس على النشر والتحقيق والترجمة والتعليم"⁽⁸⁾. أي أن الترجمة يمكن اعتبارها أحد مكوّناته ومجالاً رئيسياً من مجالاته. والترجمة بهذا المفهوم هي أنواع النقول التي تمت بين اللغات واللغة العربية؛ أما كيف ترجم المستشرقون الشرق وكيف فهموه وأولوه، فهذا هو بيت القصيد، لأن "الاستشراق، بعد كل حساب، هو نظام من الاقتباس من أعمال ومؤلفين آخرين"⁽⁹⁾. وهو ما يعني حضور النصّ الشرقي في الإنشاء الغربي سواء كان ذلك بطريقة صريحة أو ضمنية لأن الاستشهادات والنصوص لا تظهر في النصوص المنتجة باللغة العربية ولكن باللغة التي يكتب بها المستشرق.



إن اللجوء إلى الاستشراق من قبل الغرب واهتمامه بالشرق، هو من المنظور الثقافي تعبير عن أزمة، أزمة الأشكال والمواضيع التي استهلكتها الثقافة الغربية ولم تعد قادرة على الإنجاب، "فالغرب لكي يخرج من أزمته يتعيّن عليه أن يدخل حقائق ورموز الشرق فيه. و الفلسفة إذا أرادت أن تتحرّر من انسدادها عليها أن تعترف بالمتخيل فيها. والوعي إذا رغب في التخلص من صراعه يجب عليه أن ينصت إلى اللاوعي فيه. واللغة إذا أرادت أن تستقيم عليها أن تنشّط المجازات والاستعارات فيها"⁽¹⁰⁾. واستمرت الأزمة طويلا لأن الغرب ظل يعامل المشرق وكأنّه خصم، ومما جعل هذه الأزمة تتفاقم وابتعد الاستشراق عن أهدافه العلمية هو اهتمامه بالتّصوُّص والآثار القديمة⁽¹¹⁾ مما جعله بعيدا عن الحقائق الحضارية والثقافية واللغوية فيتحوّل إلى إنشاء أسطوري. هذا الابتعاد عن الحقائق، وكنوع من التعويض أو التظاهر بالموضوعية ركّز الاستشراق اهتمامه على نشاط الترجمة عند العرب كتبرير لعلاقة الشرق بالغرب ومدّ الجسور بين الثقافات لكنهم لم يروا في دور العرب إلّا وسيطا سلبيا بين الثقافة اليونانية والنهضة الأوروبية، وهو قفز على الحقائق التاريخية لأن "الثقافة العربية لم تكن في الواقع مجرد حلقة وصل بين الثقافة اليونانية والثقافة الأوروبية الحديثة، بل لقد كانت بالفعل إعادة إنتاج للثقافة اليونانية، وكانت الثقافة الأوروبية الحديثة في بداية أمرها إعادة إنتاج للثقافة العربية الإسلامية"⁽¹²⁾.

وهناك من المستشرقين من أنصف هذا المجهود بل رأى فيه سخاء وكرما إنسانيين ليس لهما نظير "حيث إن هذه الترجمات التي أنجزها العرب قد حافظت على تراث إنساني لا يقدر بثمن، لأن الكثير من الأصول اليونانية قد



ضاعت" (13). فتحوّلت النصوص العربية إلى أصول تأسس عليها العلم الأوروبي الحديث. هذه الخدمة الإنسانية الجليلة لم تتوقف عند علم معين بل إنها طالت كل مجالات المعرفة وما يتصل بها "وكانت عبقرية التراجمة الفذة، وكان القيام بجمع المخطوطات التي أنقذت تراث الثقافة القديمة من براثن النسيان، فخرج العرب بفضل ذلك بالأصول، وانطلقوا في عالم الفكر والثقافة حتى تمكنوا من بناء ما بنوا، ليقدموه إلى بلاد الغرب فيما بعد" (14).

وهل كان هذا العمل عيباً أو مأخذاً تفرّد به العرب؟ إن الترجمة قدر مشترك بين كل الحضارات والأمم، ولا توجد أمة ولا حضارة لم تأخذ عن غيرها، ولم تتخلف الحضارة العربية عن هذا الدور "فحفظت تراث الإنسانية كلها وزادت عليه ونقلته إلى من تلاها. وكل حضارة صنعت ذلك فقد صنعت خيراً ما يطلب من الحضارات. ومن طلب إليها ألا تورث الناس إلا شيئاً جديداً من ابتداعها فقد طلب إليها ما يناقض الحضارة في فضيلتها الكبرى، وهي فضيلة السماح والحرص على تراث بني الإنسان" (15).

إن المجهود الترجمي العربي لا يجب اعتباره مجرد نقل عارٍ من كل مقوّمات الفهم والإبداع، بل يجب النظر إليه على أساس أنّه حوار وتفاعل وليس مجرد استنساخ سلبى، وهو ما جعل الأمير شكيب أرسلان يلاحظ قائلاً: "فأما ترجمته [الغرب] حضارة الإسلام من كتب، وما أخذته عن غيرها من علوم، وما أفادته من فتوحاتها من منازع جميلة، وطرائق سديدة، فلا يقدر ذلك في بكارتها الإسلامية، ومسحتها العربية، لأن هذا شأن الحضارات البشرية بأجمعها أن يأخذ



بعضها عن بعض ويكمل بعضها بعضاً"⁽¹⁶⁾. فهل بقي من طعن في دور النقل عند العرب، وهل بقي من يقول "إن هذه السمة -سمة النقل- لازمت الجنس العربي منذ كان له تاريخ متصل بتاريخ العالم في أقدم العصور"⁽¹⁷⁾؟.

إن غلاة المستشرقين والذين أبدوا تحاملاً على العرب، يرون أن الشرق محرّك الثقافة الغربية ومقياس لتطوّره الفكري، "وكان "أرنست رينان" يعتبر أن الشرق "ضرورة ثقافية" بالنسبة للغرب وذلك بالرغم من كثير من أحكامه المتعسفة في البنية العقلية العربية الإسلامية"⁽¹⁸⁾. وهذه الضرورة الثقافية والتركيز على الشرق ارتفع به من مستوى الموضوع إلى مستوى المثال إلى درجة أن أحد الأوربيين لاحظ "أن أوروبا اتخذت من العالم العربي -الإسلامي نموذجاً علمياً وحضارياً في العصر الوسيط، لأنها كانت في مرتبة دنيا من التطور بالقياس إلى ما وصلت إليه التجربة العربية من ازدهار وتفتح ومجد"⁽¹⁹⁾. وهو ما جعل الاستشراق ينتقل من التعامل مع الشرق كموضوع إلى اعتباره فاعلاً ومحرّكاً للأحداث الثقافية.

إن النشاط المميز للاستشراق هو الترجمة، ترجمة التراث العربي الإسلامي، وتفسير الشرق بالمفهوم الواسع ثم التعبير عنه بلغات غربية لأن الاستشراق يفترض بالأساس إشكالية الترجمة. من جهة أولى، فإن البحث ذاته يتزامن مع الترجمة، سواء ترجمة أعمال أو استشهادات أو مقاطع، ومن جهة ثانية فإن جوهر المشروع يقتضي، كما أشار إلى ذلك "ماسنيون" نوعاً من الخلخلة التي تعتبر لحظة أساسية في عملية الترجمة أي الترجمة نحو..."⁽²⁰⁾ واقتداء بآراء إدوارد سعيد فإن الاستشراق باعتباره ترجمة فقد تميّز بالنظرة العرقية - المركزية،



لأنه، تاريخياً، لم يكن مهيباً لمواجهة خلخلته الضرورية بحيث إنه، خلال القرن التاسع عشر، وتحت تأثير النزعة الإيديولوجية قد أنتج ترجمات إثنو-مركزية⁽²¹⁾. ولعلّ هذه الخاصية تكون هي الميزة الأساسية للترجمة الأوروبية التي تعتمد في تعاملها مع النصوص على المصادر الإثنوغرافية⁽²²⁾ كما لاحظ ذلك جورج مونان، ولكي تحقق الترجمة هذه الغاية فإنها غالباً ما تلجأ إلى "التاريخ باعتباره وصفاً إثنوغرافياً للماضي"⁽²³⁾.

ما كان يتسنى للغرب معرفة المشرق لولا الترجمة التي تمّ بواسطتها إدارة العلاقات الثقافية المتداخلة وهذا ما جعل "بعض المؤرخين الأوروبيين يشددون على التأثيرات الواضحة أو المضمرة التي مارسها الشرق الفني والأدبي والفلسفي والعلمي على أوروبا"⁽²⁴⁾ وهو ما أثر في طبيعة ووظيفة الثقافة الأوربية " التي صارت بفعل هذه الترجمات لغات واصفة Métalangages نقارب من خلالها الثقافات الأخرى"⁽²⁵⁾.

إذا تجاوزنا السياق الإيديولوجي والطابع العلمي للاستشراق، وهما صفتان ملازمتان له، فإن أهداف الترجمة وأشكال الاستنساخ والاقتباس كانت في أغلبها تركز على عنصر الغرابة (الغريب) وهي الفكرة المركزية التي بنى عليها "فريدريش شلايرماخر" نظريته في الترجمة، وهي السمة الملازمة للاستشراق عبر كل مراحلها، "وبياجاز، فإن الاستشراق منذ تاريخه الحديث المبكر حتى اللحظة الحاضرة، ومن حيث هو شكل من أشكال الفكر أو التعامل مع الأجنبي، أظهر، بالشكل النمطي المتوقع من مثله، الميل الذي يثير الأسف لأي معرفة تقوم على



تقسيمات متصلبة وحادة مثل "الشرق" و"الغرب"؛ ميلا إلى أن تدفع الفكر في قنوات إلى حيزات غربية أو شرقية⁽²⁶⁾.

هذا العنصر (الأجنبي/الغريب/الغريبة) يتجلى بصورة حادة عند الفنانين والشعراء والكتاب خاصة، لأن "الانبهار بالشرق أصاب الكتاب والشعراء كما أصاب الرسامين والفنانين التشكيليين، وقد اهتم "لامارتين" في كتابه "رحلة إلى الشرق"، بتبيين الاختلاف بين الدوافع التي قادت شاتوبريان، والدوافع التي قادتته هو شخصيا"⁽²⁷⁾. وفكرة الغرائبية Exotisme قد ترسخت عند الجمهور الغربي الذي أصبح يبحث عنها وصار الكاتب يرضخ لرغبته ويلبي طلبه "ويجيب عن رسائل العمل " بشكل معين" وتعطي ترجمته بشكل أقل صورة العالم العربي أكثر مما تعطيه حساسية مجتمعه أو دوافع النص"⁽²⁸⁾. لأن "صورة العالم العربي التي تعطيها الترجمات ظلت تطبعها الغرائبية الباذخة والحسية والساذجة لألف ليلة وليلة"⁽²⁹⁾ وهي الصورة التي يحبذها قراء ترجمات الأدب العربي.

و خاصية الغرابة Etrangeté تلازم كل عمل ترجمي مهما كانت طبيعته "لأن النصوص تحتفظ، إذن، لفترة معينة علامة الغرابة، وليس هناك مجال للتأسف على الاضطرار "لاختيار ترجمة". إن الاختيار ينبع من جوهر اللغة، الكاتب هو الآخر يختار، مثله مثل أي مستعمل للغة، ويكفي تحديد تعريف النص بأنه ليس متشابها في اللغتين المختلفتين لأنه ينتهي إلى شبكتين مفهومييتين متميزتين"⁽³⁰⁾. وهذا لا يعني أن الغرابة تتحول إلى قيمة في حد ذاتها وتصير هدفا لذاتها.



لقد اجتهد الاستشراق في طريقة خاصة من طرق الترجمة وهي التحويل للاستجابة لمتطلبات القارئ الغربي. "وعملية التحويل هذه منتظمة منضبطة، فهي تدرّس، ولها جمعياتها الخاصة، ودورياتها وتقاليدها ومفرداتها، وبلاغتها التي ترتبط كلها، بطرق أساسية، بالمعايير الثقافية والسياسية السائدة في الغرب وتنبع في الوقت نفسه، من هذه المعايير..."⁽³¹⁾ وهذا يعني أن هذا التحويل قد خلق مجازاته واستعاراته أي بلاغته الخاصة التي ترتبط بالغرابة والحسيّة، ومن خلال قراءة تفكيكية "للديوان الشرقي للغربي" للشاعر الألماني غوته، يستنتج عبد الكبير الخطيبي ثلاثة أنماط ترجمية للتعرف على الأجنبي قائلًا: "ثلاثة أنماط للترجمة، تلك التي تتعرف فيها على الأجنبي، وأخرى تبحث عن الاستحواذ على الروح الأجنبية بنقلها، والثالثة وتستهدف الاندماج في الأصل، نازعة إلى التقرب من خلفيات السطور بحيث، نساق هنا إلى النصّ البدائي، ضد إرادتنا وهكذا تنتهي دورة العبور من الأجنبي إلى المحلي، ومن المعروف إلى المجهول"⁽³²⁾. وكان من ثمرات لقاء هذا الشاعر الغربي (الألماني) تحوّلته من الكلاسيكية إلى الرومانسية، "والذي أجمع النقاد على أنّه من أبرز أعمال الأدب العالمي هو "الديوان العربي الشرقي" كما أسماه غوته، ويتألف هذا العمل الأدبي من جزأين: الجزء الأوّل وهو القسم الشعري من الديوان والجزء الثاني وهو القسم الثاني الذي اشتمل على آراء غوته في الأدب العربي وملاحظاته حوله"⁽³³⁾.

وتتخذ الغرابة شكلا آخر عند الشاعر الفرنسي رامبو (1854 - 1891) حيث يصبح الشرق، في مفهومه، مجموعة من الألبان المبطنة بالأسرار، و"لعلّ



الشرق المليء بالأسرار والألغاز والسحر بكل ما هو خارق للطبيعة قد عوّض رامبو عن تشوقه الشعري لكشف كل الأسرار⁽³⁴⁾ إنه الشرق الذي خلقه المخيال الغربي وجعل منه تارة نموذجاً وأطواراً خطراً غامضاً. إنه الشرق الذي كرّسته مجموعة ترجمات ألف ليلة وليلة ونصوص الرحالة الغربيين التي يمتزج فيها الخيال بالواقع وتعيد تشكيل عناصر الواقع وفق رغبات القارئ الغربي.

أما عن المستشرق، كيف يمكن وصفه؟ إن المستشرق هو من يتقن اللغة العربية، إضافة إلى لغته الأصلية والعيب كل العيب أن نجد مستشرقاً (أو مترجماً) يحتاج إلى عدّة أيام لكتابه رسالة مهمة نوعاً ما⁽³⁵⁾. وهو، ربّما السبب، الذي جعل بعض نصوصهم وقراءاتهم للنصوص العربية تحيد عن الطريق وتجانس الصواب. وهذا يبدو منطقياً في نظر محمد عابد الجابري الذي يرى أن المستشرقين "سيظلون مستشرقين يطلبون الشرق لأنهم يقعون خارجه، أي يفكرون في بعض قضاياهم من موقع يقع خارج إحدى ثقافته، وبالتالي فلا يمكن أن ينتموا إلى الثقافة العربية لأنهم يفكرون في قضاياها من خارجها، بل ومن خارج محيطها الخاص"⁽³⁶⁾.

والمستشرق بصفته مترجماً، حتى لو لم ينتج ترجمات، فهو في هذا السياق، وسيط، ولكنه يختلف عن الترجمان الذي ينتقل إلى الفضاء الجغرافي الذي أنتج فيه الأصل، و"كان الفضول العلمي هو الذي يدفع بالمسافرين وقتها أكثر من غيره إلى اكتشاف بلاد ولغات وشعوب أخرى. وكان عالم الغير هذا هو الذي تواصلت تسميته بالشرق. وكان المستشرق هو الوسيط المعلم في اكتشاف مجاهله"⁽³⁷⁾ والمستشرق، في بداياته، هو مترجم ودليل سياحي في الوقت ذاته. فهو يتوسط بين الشرق والغرب ويحاول مدّ الجسور بين فضائيين حضاريين متباينين



وإن كان في الكثير من الأحيان يدين بعقيدة سياسية يصعب عليه التخلص منها فيتحوّل إلى وسيط إمبريالي⁽³⁸⁾ كما حدث بعد الحرب العالمية الأولى، وقبلها أثناء غزو الجزائر من طرف فرنسا، ومن صفات الترجمان، الوسيط "وتشتق كلمة Truchement بشكل ملائم جميل من الكلمة العربية "ترجمان"، التي تعني "المفسّر" و"الوسيط" أو "الناطق باسم". فالاستشراق من جهة أولى، حصل على الشرح إلى أقصى درجة ممكنة من الحرفية والشمول؛ ومن جهة أخرى، فقد دجّن الاستشراق هذه المعرفة للغرب، مكرّراً إياها وناقلاً لها عبر أنظمة ترميز مقنّنة، وتصنيفات، وحالات من العيّنات، ومراجعات مرحلية، ومعاجم وكتب نحو، وتعليقات و تحريرات وترجمات، شكلت جميعها مصورة للشرق وأعدت إنتاجها ماديا في الغرب، من أجل الغرب"⁽³⁹⁾. وكيف لا يكون الاستشراق ترجمة بمفهومها الواسع، لقد قام بمحاولة ترجمة الحقائق والوقائع والتّصوص، وإعادة تشكيلها وصياغتها من جديد.

وإذا كانت الترجمة، عند أمة من الأمم، تقتصر على حقل معرفي محدّد أو مجموعة من الحقول، كترجمة الفلسفة والطب في العصر العباسي لأغراض إيديولوجية أو شخصية، والترجمة عند الغربيين في القرون الوسطى التي اقتصرت على الفلسفة كدعامة للنهضة الأوروبية، فإن الاستشراق قد وسّع دائرة اهتمام الترجمة إلى كل المجالات الحياتية. هذا ما جعل إدوارد سعيد يقول: "كان المستشرقون لعقود قد تحدثوا عن الشرق، وترجموا التّصوص وفسروا الحضارات، والأديان والسلالات والثقافات والعقليات، كمواضيع جامعية، محجوبة عن أوروبا



بحكم أجنبيتها التي لا تقلد... وكانت العلاقة بين المستشرق والشرق بصورة أساسية، تأويلية، فإن وقف المستشرق، الباحث أمام حضارة أو منجزة ثقافية نائية لا تكاد تفهم، قلص الإيهام عن طريق الترجمة، والتصوير المتعاطف، والإدراك الداخلي للشيء الذي يصعب الوصول إليه⁽⁴⁰⁾.

من خلال هذه المعايير لنشاط المستشرق نتأكد أن كل نشاطه هو نشاط ترجمي بالدرجة سواء أكان تأويلاً أو فهماً أو ترجمة بالمعنى الدقيق. ومنه يغدو الاستشراق شكلاً من أشكال الترجمة ومنهجية خاصة في نقل المشرق بكل حمولته الثقافية والتاريخية إلى الغرب.

(1) إدوارد سعيد: الاستشراق، ص 55.

(2) نفسه 57.

(3) دانيال ريفغ: رجل الاستشراق، ص 27.

(4) شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، ص 108.

(5) زيفريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ص 12.

(6) إدوارد سعيد 71.

(7) نفسه.



- (8) سعيد علوش: مكوّنات الأدب المقارن في العالم العربي، ص 118.
- (9) إ. سعيد 56.
- (10) محمد نور الدين أفاية: المتخيل والتواصل، ص 43.
- (11) روجي الخالدي: تاريخ علم الأدب عند الأفرنج والعرب، ص 60.
- (12) محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، ص 48.
- (13) J. Redouane : Encyclopédie de la traduction, P5.
- (14) ز. هونكه: 126.
- (15) عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية، ص 32.
- (16) ش. أرسلان 114.
- (17) العقاد 28.
- (18) أفاية 93.
- (19) نفسه 102.
- (20) A. Berman : L'épreuve de l'étranger, P 296.
- (21) Op. Cit. 297.
- (22) G. Mounin : Les problèmes théoriques de la traduction, P 236.
- (23) Op. Cit. 242.
- (24) A. Sinaceur : Histoire, culture et traduction, P 42.
- (25) Ibid.
- (26) إ. سعيد 76.
- (27) ريغ 67.
- (28) N. Tomiche : La littérature arabe traduite, P 28.
- (29) Op. Cit. 2.
- (30) F. Schleiermacher : Des différentes méthodes du traduire, P 18.
- (31) إ. سعيد 96.
- (32) علوش 238.



(33) أحمد الحمو: غوته والأدب العربي، ص154 - مجلة المعرفة (دمشق).

(34) فايز مقدسي: مفهوم الشرق عند رامبو، ص162 - مجلة المعرفة.

(35) ريغ 177.

(36) الجابري 13.

(37) ريغ 31.

(38) إ. سعيد 247.

(39) نفسه 181. (40) نفسه 231.

